

موضوعات الخطاب الروائي الجزائري

مصباحي الحبيب
معهد الآداب واللغات
المركز الجامعي/ سعيدة

تمهيد :

إن الحديث عن السرديات الجزائرية جزء لا يتجزأ من الحديث عن النتاجات الروائية العربية عبر مسارها التاريخي معالجة وموضوعا ، لذلك وعلى الرغم من الظروف التي فرضت نفسها على هذا الجنس إلا أنه وفي فترة وجيزة استطاع كتاب هذا الجنس الأدبي تجاوز الصعوبات المطروحة بفضل مستويات الوعي لديهم وارتباطهم بيوميات مجتمعاتهم وإدراكهم للمسؤوليات الملقاة على عاتقهم إذ إن الكثير منهم لم يتعامل مع هذا الفن إلا ممتزجا بسمتين هما:

أ - المضمون التعليمي (الإصلاحي)

ب - توظيف التراث

المتعامل مع الرواية العربية الجزائرية خاصة يتوصل إلى قناعة مفادها أن المضمون الثوري حظي بحصة الأسد ضمن المعالجات الروائية السبعينية تحديد " لأن هاجس الثورة الجزائرية ... ظل يلاحق الكتاب ويركب خيالاتهم وتؤثر في كتاباتهم لتصير معينا لا ينضب...⁽¹⁾ فمن هؤلاء الكتاب من عايش الثورة ومنهم من أثرت فيه أيما تأثير، فقصص عليها نشاطه وإبداعه ولنذكر - على سبيل الحصر - الدكتور عبد الملك مرتاض وعبد الحميد ابن هدوقة والطاهر وطار وغيرهم كثير .

رواية " اللاز " عاجلت هذه الأخيرة موضوع الثورة التحريرية وفق طرح إيديولوجي على خلاف المحاولات الأخرى ، حيث كان المحور الرئيس لهذه الرواية إبراز دور الحزب الشيوعي إبان الثورة المسلحة لكن الرسالة التي أريد لها أن تكون هو أن (هذا الشعب يبقى غريبا عن كيانه و واقعه إلا بعد عودة الأب الحقيقي والمتمثل في الشيوعية)⁽²⁾ .

*رواية "العشق والموت في الزمن الحراشي " : تشكل هذه الرواية الجزء الثاني للاز حسب اعتراف الروائي نفسه بحيث تستمر الشخصيات المقترحة في النشاط الاجتماعي تحريكا للمسار الديمقراطي التابع للخط الثوري ليتواصل الصراع وتتضارب المصالح ن ف شخصية اللاز مثلا تبقى هي ، هي رغم الطابع الهامشي المميز لها ، ونفس الشيء يقال عن شخصية سمو ذلك النموذج الثوري والمواطن البسيط ، يتضح أن هذا النص الروائي يحاول تشخيص مختلف الصراعات الجوهرية في المجتمع الجزائري سواء كانت إيجابية أم سلبية وهي (التي تظهر بجلاء في

المشاريع الكبرى للمسار الديمقراطي والثورة الزراعية⁽³⁾ يبدو أن الرواية وفقت بين الذاتي والموضوعي أي (قوة الواقع)⁽⁴⁾ كما قيمها الناص نفسه طارحا بذلك قضية التنبؤ المزعومة .

* رواية "الزلزال" : كانت مدينة قسنطينة مسرحا لأحداث هذا العمل الروائي من خلال طرح مشكل الإقطاع والإقطاعيين ممثلا في شخصية عبد المجيد بولرواح حيث نجح الروائي في تصوير خيبة أمله مدعيا أن (لا وحد الله لكم شملا... تركتم الرعي والحماسة ...) ⁽⁵⁾ ونفس الطرح تقريبا نلفيه في رواية عرس بغل لكن المقام لا يتسع للتفصيل في ذلك.

* رواية "رياح الجنوب" : من خلال مضمون الرواية نقف عند إشكالين أحدهما سياسي والثاني اجتماعي ، تعالج هذه الرواية أكثر من موضوع في مقدمتها الثورة التحريرية ويليها الإقطاع وموضوع الأرض والمرأة إلى جانب التراث ، لقد عالج الروائي تلك المواضيع بنوع من التمايز مفرطا في تحكيم الماضي واستخدام المنولوج الداخلي خصوصا عند شخصية مالك مخاطبا شخصه (هل عيناى هاتان تستطيعان رؤية الماضي كما كانت تراه عيناى الماضيتان الصافيتان؟)⁽⁶⁾ رغم ما قيل حول هذه الرواية إلا أنها تبقى الابن البكر للخطاب الروائي العربي الجزائري موضوعا ومعالجة

* رواية "الحريق" : لقد شكلت الثورة المحور الأساس لهذا العمل الروائي من خلال تعرية الواقع السياسي والاجتماعي إبان التواجد الاستعماري ، فهي محاولة لإسقاط الذاتي على الموضوعي والعكس ، لقد كان حريقا مشتعلا صعد من هول المعركة وبعث أوار الثورة في دم الثوار فتوجلك بالنصر المحقق والمستحق .

* رواية " نار ونور" : تعكس هذه الرواية يوميات المواطن الجزائري في ظل ظروف استعمارية تفوح برجوازية وممارسات لاإنسانية من تشخيص مجموعة من العمال والفلاحين والوطنيين ، حيث كان حي سيدي الهواري مسرحا لأحداث الرواية .

* رواية "دماء ودموع" : رغم أن الموضوع العام للرواية يطرح إشكال الهجرة لكنها في ظل التواجد الاستعماري الفرنسي ، بحيث تمثل حضور الثورة في الدور التي قامت بها شخصية "ابتسام" فهي بهذا الطرح شخصية نمطية استطاعت أن تعطس جانبا من الصراع القائم بين المستعمر وأفراد الشعب الجزائري .

* رواية "حب أم شرف" : تؤسس هذه الرواية للثورة التحريرية كموضوع من منظور ذاتي رغم الطابع العام للنص الروائي والقاضي بطرح مسألة عاطفية لكن الملاحظ أن الروائي وقع في المعالجة السطحية على درجة الملل والطرح الرومانتيكي والوقوع في التناقض أحيانا .

* رواية "ما لا تذروه الرياح" : تشكل الثورة الموضوع الرئيسي في الرواية إلى جانب مواضيع متفرقة لم يظهر الكاتب تحكما فيها وما يشفع للبطل الرئيسي هو حياته الجنسية المتفسخة (مرغما على المغامرة والبحث عن حب آخر ، فأخذ يربط علاقات مع نساء أخريات تحدث المصادفة أن يتصل ويتكلم معهن)⁽⁷⁾ .

* إن أعمالا روائية أخرى تناولت بالطرح المضمون الثوري كموضوع من موضوعاتها كرواية " فوضى الأشياء " ورواية " نهاية الأمس " لابن هدوقة ورواية " الأجساد المحمومة " لإسماعيل غموقات وغيرها كثير من

الأعمال الروائية التي جعلت الثورة زمانا لمنطلقها ، حيث كان ظل الثورة التحريرية المباركة يطارد خيالات وأقلام الكتاب خصوصا الذين عاشوا في فترة السبعينيات .

نسب تقريبية لحضور الثورة في الرواية الجزائرية

الروائي	الرواية	نسبة حضور موضوع الثورة
الطاهر وطار	اللاز	94 %
"	العشق والموت في الزمن الحراشي	91 %
"	الزلزال	70 %
عبد الحميد بن هدوقة	ريح الجنوب	45 %
نور الدين بوجدر	الحريق	61 %
عبد الملك مرتاض	دماء ودموع	70 %
"	نار ونور	93 %
شريف شناتلية	حب أم شرف	66 %
محمد عرعار	ما لاتذروه الرياح	75 %

محور الأرض :

إن علاقة الإنسان الجزائري بأرضه قديمة قدم تواجد المواطن على أرض أجداده يقتات من خيراتها ، كما كانت مصدر إلهام لأقدم الأعمال الإبداعية من خلال تصوير معاناة الجزائريين زمن التواجد الاستعماري هذا الأخير الذي سلب منهم أراضيهم الخصبة خاصة مسخرا اليد العاملة الجزائرية في المجال الفلاحي . وبع حصول الجزائر على استقلالها تم تطبيق سياسة الثورة الزراعية كمشروع وطني لاستغلال الثروات الفلاحية لصالح الجزائر والجزائريين .

إن هذا الموضوع أخذ حيزه في الفضاء الروائي الجزائري وتحديدًا في فترة السبعينيات ومن الأعمال الروائية التي أفردت اهتماما بموضوع الأرض نجد على سبيل التمثيل لا الحصر:

*رواية "ريح الجنوب" : سجلت الرواية حضورا فاعلا في معالجة ملف الأرض وخصت بالمعالجة موضوع الريف الجزائري بكل تداعياته الأمر الذي جعل السيد عبد المجيد مزيان يبدي إعجابا بها فهي (حدث ثقافي يستجيب لمتطلبات واحتياجات الأجيال الصاعدة لأدب واقعي وملتمزم)⁽⁸⁾ لقد كانت مشروعا قبليا لملف الأرض الشائك من خلال إدانة الإقطاع والدعوة إلى تحرير الفلاحين إلى جانب طرح موضوع تحرير المرأة وتجاوز العقلية السائدة والتقاليد الموروثة بناء على ما قامت به شخصية "نفيسة " ، فرغم ثورية ووطنية الكاتب إلا أنه لم

يوفق بالشكل المطلوب في طرح موضوع الأرض بكل ملابساته كونه أسهب كثيرا في تفاصيل لا علاقة لها بالحدث الرئيسي للرواية

*رواية "نهاية الأمس" : المتصفح لهذه الرواية يتوصل إلى قناعة مفادها أن الناص جعلها الجزء الثاني لريح الجنوب مستدركا المواقف السلبية لكثير من أبطاله لتبرز في شكل أعمال بطولية وطنية فرغم الهنات التي وقعت فيها الرواية إلا أنها تبقى في طليعة النصوص التي اهتمت بموضوع الأرض وفق طرح رؤيوي التزامي يشع وطنية وثورية .

*رواية "على الدرب" : حاول الكاتب التقرب من موضوع الأرض رغم إشكالاته من خلال عمله المقسم على لوحات مظهر سعادة مسعود بمناسبة استرجاعه لأرض وممتلكاته بعد تطبيق الإصلاح الزراعي ضمن مشروع الثورة الزراعية متطرقا إلى شتى مظاهر الواقع القاسي والعقبات التي حالت دون تحقيق الكثير من آمال مسعود.

*رواية " الزلزال " : يلامس مضمون الرواية مشكل الأرض كعقار فلاحى وتخوف الكثير من الإقطاعيين على الأراضي التي ورثوها عن العهد الاستعماري الإقطاعي مثلا في شخصية عبد المجيد بولروح ، فمن بين النجاحات التي حققها وطار على الصعيد الفني هو تصوير القناعات التي سقط فيها البطل الرئيسي خصوصا الإقطاعية منها رغم المسحة الإيديولوجية التي اتسم بها الطرح الروائي .

*رواية " قبل الزلزال " لبوجادي علاوة : قامت التقنية الروائية على تكثيف الأحداث واعتماد نظام اللوحات لكنها عاجلت موضوع الأرض عرضا من خلال واقع أسرة البطل مصطفى رغم أن هذا الأخير لم يسهم إلى حد كبير في تنامي حثية الرواية .

*رواية " الشمس تشرق على الجميع" لإسماعيل غموقات : قامت الرواية بتسجيل روتيني لحالات تقع يوميا في حياة الناس عامة منطلقة بذلك من حدث بسيط للغاية لتطرح فيما بعد مجموعة من التناقضات تعد من رواسب يوميات المواطن الجزائري كتسجيل بعض الإنجازات الاشتراكية كالثورة الزراعية وتأثيرها على الإقطاع والإقطاعيين ،على اعتبار أن الحديث عن الأرض وثيق الصلة بالإقطاع إلى جانب معالجة موضوع الثورة لما هي الأخيرة من صلة بالموضوعين السابقين .

نسب تقريرية لحضور الأرض في الرواية الجزائرية

الروائي	الرواية	نسبة حضور موضوع الأرض
عبد الحمي يد بن هدوقة	ريح الجنوب	56 %
"	نهاية الأمس	48 %
حاجي محمد الصادق	على الدرب	39 %
الطاهر وطار	الزلزال	86 %

علاوة بوجادي	قبل الزلزال	48 %
إسماعيل غموقات	الشمس تشرق على الجميع	36 %

محور الهجرة :

لعل الظروف القاسية المصاحبة للقمع الاستعماري كانت سببا مباشرا في هجرة الكثير من أبناء الجزائر لبلدهم ومغادرة أهليهم وأقرب الناس إليهم أحيانا كان يحدث ذلك بالقوة وأخرى بالإغراء وثالثة تحت رحمة الظروف الاجتماعية الصعبة الأمر الذي جعل الروائيين يتابعون تلك الأحداث ويبلورونها في شكل أعمال روائية تبقى سجلا شاهدا على بشاعة المستعمر وبربريته ، فكان الكتابة بمثابة التزام وإسهام وتسجيل موقف والتفاتة وطنية على الأقل.

* رواية "دماء ودموع" لعبد الملك مرتاض : لقد ألفينا مرتاضا يطرح هذا الموضوع وبشجاعة مبرزا آثار التشريد التي تسببت فيها السياسة الاستعمارية من وجهة نظر رجل ثوري قل أن يكون روائيا خصوصا وأن البلد الذي اتجه إليه البطل يعرفه الكاتب جيدا ، فقد كان الثمن دماء ودموعا وليست الهجرة على ذاك البلد العربي أرحم من البقاء في الجزائر .

* رواية "الطالب المنكوب" لعبد المجيد الشافعي : لقد شكل موضوع الهجرة أحد المحاور الأساسية لهذا النص الروائي وتحديدا كان الدافع وراء ذلك طلب العلم و ما يترتب عن ذلك من متاعب و مشاققة نتيجة للبعد و مفارقة الأهل و مصارعة متطلبات الغربة.

* رواية "ما لا تذروه الرياح" لمحمد عرعار: تطرح الرواية في مجملها نموذج الشاب المندفع وراء أحلام شبانية تحركها مطامع شخصية مقابل التخلي عن الوطن في حين كان هذا الأخير في أشد الحاجة لكل أبناءه و في النهاية تبدد حلم البطل و خسر أشياء كثيرة عائدا من فرنسا و هو يصارع المرض ليمثل نموذج شخصية منهزمة و هو ما نجح فيه الروائي من خلال طرح انعكاسات الهجرة إلى فرنسا مقابل تحقيق أطماع ذاتية.

نسب تقريبية لحضور الهجرة في الرواية الجزائرية

عنوان الرواية	المؤلف (الكاتب)	نسبة مضمون الهجرة
دماء و دموع	عبد المالك مرتاض	91 %
الطالب المنكوب	عبد المجيد الشافعي	54 %
ما لا تذروه الرياح	محمد عرعار	26 %
حورية	عبد العزيز عبد المجيد	33 %

محور المرأة :

كان لحضور المرأة الدور البارز في رؤى كثير من كتاب الرواية العربية الجزائرية بناء على الأدوار المختلفة التي قامت بها المرأة قبل وبعد الثورة سواء تعلق الأمر بحضورها في الريف أو عيشها في المدينة .

*رواية ربيع الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة : تشكل هذه الرواية البعد الثاني في الدعوة إلى تحرير المرأة وطرح معاناتها وسط مجموعة من التناقضات الاجتماعية في الريف والمدينة على حد سواء من خلال نماذج رحمة ، نفيسة خاصة ، فعلى الرغم من تعرية الواقع الاجتماعي للريف الجزائري وما ينتابه من تناقضات إلا أن الروائي قفز على كثير من القضايا الاجتماعية ذات الصلة بالمرأة والملاحظ أن الناص وقع في كثير من الصدف غير المبررة خصوصا ما وقع نفيسة مع الراعي وهو ما عد - في نظر النقاد - سقطة فنية .

*رواية غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو : رغم أن الرواية في عمومها تتحدث عن المرأة الحجازية إلا أنه حديث في ذات الوقت عن نفس الأوضاع التي تعيشها المرأة في الجزائر . إن وضع هذه المحاولة في إطارها الزمني جعلها تحقق قدرا من المستوى الفني على الرغم من كونها أول محاولة جزائرية في عالم الرواية الفنية لذلك عدت الرواية بمثابة صرخة مدوية في مجال تحرير المرأة .

*حورية لعبد العزيز عبد المجيد : تطرح الرواية صرع أسرة تعيش مجموعة من التناقضات إلى حين قدوم الثورة فزادت الطين بلة ، وما يلاحظ على التقنية الروائية هو ممارسة نوع من القمع على شخصيات العمل الروائي وما صاحب ذلك من إملاء قناعاته الشخصية عليها

*حب أم شرف لشريف شناتلية : على الرغم من أن الموضوع المحوري للرواية هو الثورة التحريرية لكنها تطرقت إلى الحديث عن المرأة من خلال رصد تلك العلاقة بين عزالدين وفلة ابنة السي البشير وهو ما يطرح بحق ممارسة سلطة الأب القاسية على البنت وما يتبع ذلك من عدم الأخذ رأي البنت في حالة تزويجها دون أدنى اعتبار لكيانها

نسب تقريبية لحضور المرأة في الرواية الجزائرية

الروائي	الرواية	نسبة حضور موضوع المرأة
عبد الحميد بن هدوقة	ربيع الجنوب	66 %
أحمد رضا حوحو	غادة أم القرى	86 %
عبد العزيز عبد المجيد	حورية	41 %
شريف شناتلية	حب أم شرف	32 %

الإحالات

- 1 - د. عبد المالك مرتاض - القصة الجزائرية المعاصرة - م.و.ك. الجزائر 1990 ص.41
- 2 - مجلة الثقافة و الثرة - وزارة التعليم العالي و البحث العلمي - بدون تاريخ
- 3 - الأعرج واسيني - اتجاهات الرواية العربية في الجزائر - م.و.ك. الجزائر 1986 ص.518
- 4 - مجلة الحياة الثقافية - وزارة الشؤون الثقافية - تونس - العدد 1984/32 ص.277
- 5 - الطاهر وطار - الزلزال - ش.و.ن.ت. - الجزائر - ط.3
- 6 - عبد الحميد بن هدوقة - ربح الجنوب - - ش.و.ن.ت. - الجزائر ص.63
- 7- محمد عرعار - ما لا تذروه الرياح - - ش.و.ن.ت. - الجزائر ص.140
- 8 - جريدة المجاهد - رقم 4265 مارس 1979.